الموضوع الأول

حديث تفريج الكرب

عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما كربنى أمر إلا تمثل لى جبرائيل عليه السلام فقال: يا محمد قل: توكلت على الحى الذى لا يموت والحمد لله الذى لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا».

[أخرجه الحاكم فى مستدركه (١/ ٦٨٩) رقم (١٨٧٦) وقال: صحيح الإسناد]

هذا حديث يساعد الناس على حل كثير من مشكلاتهم التى تواجههم فى حياتهم، (لو أعطيتك مائة أو خمسمائة أو ألف جنيه ستنفقهم) لكن هذا الحديث سيبقى فى قلبك و سيحل لك مشاكلك .

(ما كربنى) أى ما نزلت به - صلوات الله عليه و سلامه - نازلة أو كرب (ما كربنى أمر إلا تمثل لى جبريل عليه السلام) أى أتى النبى ﷺ فى صورة الوحى أو فى صورة حسية فقال: يا محمدُ (بضم الدال) عندنا فى اللغة العربية المنادى العلم المقصود يضم، و هل هناك علم ومقصود ومنادى أفضل من سيدنا محمد ﷺ؟ «يا محمد قل: توكلت على الحى الذى لا يموت».

هذا دعاء لتفريج الكرب يساوى ملايين الدينارات والدولارات، وكثير من الناس يأخذون هذا الكلام بيقين فيفتح الله تعالى العظيم الكريم عليهم بما لا مثيل له.

قال أحدهم ذات مرة: وجدت ثمانية جنيهات، وهذه النقود عندما وجدتها كنت فى أمس الحاجة إليها، ولكننى ما قبلتها، وما أخذتها، وظللت أبحث وألهث وأجرى حتى وجدت صاحبة المال، وقال: وفى العصر أفاء الله على بثمانمائة جنيه، هذا فضله، وهذا عدله، وهذا ملكه، وهذا ملكوته، وهذا رضاؤه، من رضى فله الرضا .

والمسلم إذا كربه أمر أو كان عنده مشكلة أو عنده مصيبة فإنه يقول: «توكلت على الحى الذى لا يموت » تقولها أيها المسلم ثلاثاً، أربعاً تشتغل بها تزيد بسم الله ما شاء الله، دون أن تضع حداً لكرم الله عليك، وتقرأ الآية الأخيرة من سورة الإسراء: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾ ﴾ أى وقل - أيها الرسول- : الحمد لله الذى له الكمال والثناء، الذى تنزَّه عن الولد والشريك فى ألوهيته ، ولا يكون له سبحانه ولىٌّ مِن خلقه فهو الغني القوي، وهم الفقراء المحتاجون إليه، وعظِّمه تعظيمًا تامًا بالثناء عليه وعبادته وحده لا شريك له، وإخلاص الدين كله له.

تقولها أربع مرات أو أكثر فلم يكن فى الحديث تفصيل بالعدد من باب الإقبال، والمتاجرة مع الله عز وجل.

«توكلت على الحى الذى لا يموت» ما اعتمدتَ على عافيتك، ولا على سلطانك، ولا على عصبيتك، ولا على منصبك، ولا على أهلك، إنما اعتمدت على الحى الذى لا يموت، إن الذى ناداك أى الحى وقال لك فى سورة (الفرقان): ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾ أى وتوكل على الله الذى له جميع معانى الحياة الكاملة كما يليق بجلاله الذى لا يموت، ونزِّههُ عن صفات النقصان. وكفى بالله خبيرًا بذنوب خلقه،لا يخفى عليه شىء منها، وسيحاسبهم عليها ويجازيهم بها.

ينظر الإنسان للأشياء بطبيعتها فيجد أن كل ما حوله يزول ولابد أن يـزول، وإذا لم يزل فإنه يُعطل، وإن لم يزل ولم تأت له نازلة أو خراب، فإنـه لا يـدوم كـل شيء فى هذه الحياة على هذا الحال، وسبحان الذى يغير من حال إلى حال.

نحن الآن فى شهر مايو ورغم هذا نزلنا من السيارة قبـل قليـل فـإذا بمطـر منهمر، قلت: هذا عظيم مـن ألطـاف الله، وأقـول للنـاس الـذين يقولـون: إن الكون يسير بطريقة آلية ولا يحتاج إلى إلـٰه: إذا كان الكـون يـسير بطريقـة آليـة، فهل هناك مطر فى الحر الشديد ؟ هل يمكننا أن نستشعر أن هناك بـرداً فى الحـر الشديد؟ نعم، لأن الله تعالى هو المدبر، وهو المتصرف، وهو القائم بِمُلكـه، وهـو الذى يفعل ما يشاء، يُقلب ما يشاء، فهؤلاء غابت عـنهم أساسـيات عـوالم هـذه الحياة، يقلب الله الليل والنهار، إن فى ذلك لعبرة لمن ؟ (لأولى الأبصار) .

هل وجدتم ذات مرة أن الليل أتى، وقال لكم: أنا لن أنجلى سأحيلها عليكم ظلامًا لأنكم عصيتم الله؟ لا، لم يحدث لكنه يتقلب لماذا ؟ لأن الذى يقلبه الحى الذى لا يموت ففى قوله تعالى فى سورة فاطر: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤١﴾ ﴾ إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا عن مكانهما، ولئن زالت السموات والأرض عن مكانهما ما يمسكهما من أحد من بعده، إن الله كان حليمًا فى تأخير العقوبة عن الكافرين والعصاة، غفورًا لمن تاب من ذنبه ورجع إليه.

مثال: ولله المثل الأعلى، فلكى تُركب خيمة ارتفاعها متران أو ثلاثة وتحاول ضبطها من كل النواحى، ثم تأتى لها الرياح الشديدة من إحدى النواحى وتطيح بها، فانظر وتمتع واستمتع ومتع نفسك بعظيم خلق الله جل جلاله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤١﴾ ﴾ .

﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِيٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾ [الإسراء: ١١١] من الذل تعنى من الضعف، والله ليس ضعيفاً كى يحتاج قويًا غيره فهو القوى ﴿ وَأَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [البقرة: ١٦٥] و قد رأيتم أن ثلاثين ألفًا من الأحزاب تحزبوا حول مدينة رسول الله ﷺ - هذا رقم كبير جداً، وتخندقوا حولها وهى صغيرة فى الحجم، وما كان لهؤلاء من مخرج كى يغادروا هذا المكان، وكان لابد وأن يُظهر الله لهم قوته؛ لأنهم أتوا متعاظمين متكبرين، فأراد الله تعالى أن يُظهر لهم قوته، وأن يُذكِّر المؤمنين بنعمته .

ففى قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٩] .

يا معشر المؤمنين اذكروا نعمة الله تعالى التى أنعمها عليكم فى "المدينة" أيام غزوة الأحزاب -وهى غزوة الخندق- حين اجتمع عليكم المشركون من خارج "المدينة"، واليهود والمنافقون من "المدينة" وما حولها، فأحاطوا بكم، فأرسلنا على الأحزاب ريحًا شديدة اقتلعت خيامهم ورمت قدورهم، وأرسلنا ملائكة من السماء لم تروها فوقع الرعب فى قلوبهم، وكان الله بما تعملون بصيرًا، لا يخفى عليه من ذلك شىء.

و كان الصحابة يتعجبون من صبره وثباته ﷺ، فهذا حذيفة بن اليمان رضي الله عنه الذى ذهب إلى بلاد الكوفة فقابله أحد الناس فقال: هل رأيت رسول الله ﷺ؟ قال له: نعم .

هل عشتم مع رسول الله ﷺ ؟ قال له: نعم .

هل أكلتم مع رسول الله ﷺ ؟ قال له: نعم .

هل سافرتم مع رسول الله ﷺ ؟ قال له: نعم .

قال: و الله لو كنا كذلك أى إذا كنا مكانكم ما تركناه يمشى على الأرض ولحملناه فوق رءوسنا أو فوق أكتافنا، فقال له: سأذكر لك حال رسول ﷺ عندما حوصر فى مدينته صلوات الله عليه وسلامه فذكر له الأذى والبأس والشدة والضر والكرب الذى تحمله النبى العظيم (صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الكرام)؛ لذلك أظهر الله تعالى قوته عندما اعتمد الكفار على قوتهم، واعتمد المسلمون على ربهم .

«توكلت على الحي الذى لا يموت»، فقد أتى الكفار بعدةٍ وقوةٍ ونفوذٍ، بينما استعان المسلمون بالحي القيوم، وقد أغاثهم الحى القيوم، كما قال تعالى: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴾ [الأحزاب:١٠] اذكروا إذ جاءوكم مِن فوقكم من أعلى الوادى من جهة المشرق، ومن أسفل منكم من بطن الوادى من جهة المغرب، وإذ شخصت الأبصار من شدة الحَيْرة والدهشة، وبلغت القلوب الحناجر من شدة الرعب، وغلب اليأس المنافقين، وكثرت الأقاويل، وتظنون بالله الظنون السيئة أنه لا ينصر دينه، ولا يعلى كلمته.

ما هذا الجمال؟! ما هذه العظمة ؟!

هناك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً، ما الذى أنقذهم ؟ « إنى توكلت على الله ربى» ما الذى أنقذهم ؟ ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [الشعراء:١٠].

﴿ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ﴾ [هود:٥٦] .

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان:١٠] .

اللهم لك الحمد فى الليل إذا يغشى، ولك الحمد فى النهار إذا تجلى، ولك الحمد فى الآخرة والأولى، ولك الحمد عدد كل نجم وملك فى السماء، ولك الحمد عدد الثرى والحصى والنوى، ولك الحمد عدد ما فى جوِّ السماء، ولك الحمد عدد ما فى جوف الأرض، ولك الحمد عدد أوزان مياه البحار، ولك الحمد عدد أوراق الأشجار، ولك الحمد عدد ما على وجه الأرض.

اللهم أنجز لنا ما وعدتنا وجميع المؤمنين والمؤمنات من المغفرة، وأتم علينا ما آتيتنا فإنا عبادك المساكين، فارحمنا يا الله.

اللهم لا تجعلنا ناسين لذكرك، ولا يائسين من إجابتك وإن أبطأت عنا فى سراء أو ضراء، أو شدة أو رخاء، أو عافية أو بلاء، أو بؤس أو نعماء، فلك الحمد على كل حال إنك سميع الدعاء.